المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

تقييم حالة

الانتخابات البرلمانية الإيطالية وصعود اليمين الشعبوي

أحمد حسين | مارس 2018

الانتخابات البرلمانية الإيطالية وصعود اليمين الشعبوي

سلسلة: تقييم حالة

أحمد حسين | مارس 2018

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2018

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات مؤسّسة بحثيّة عربيّة للعلوم الاجتماعيّة والعلوم الاجتماعيّة التطبيقيّة والتّاريخ الإقليميّ والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاثٍ فهو يولي اهتمامًا لدراسة السّياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربيّة أو سياسات دوليّة تجاه المنطقة العربيّة، وسواء كانت سياسات حكوميّة، أو سياسات مؤسّسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربيّة بأدوات العلوم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتاريخيّة، وبمقاربات ومنهجيّات تكامليّة عابرة للتّخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قوميّ وإنسانيّ عربيّ، ومن وجود سماتٍ ومصالح مشتركة، وإمكانيّة تطوير اقتصاد عربيّ، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامجَ وخططٍ من خلال عمله البحثيّ ومجمل إنتاجه.

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات
المبنى رقم 196
شارع الطرفة (800)
منطقة 70، وادي البنات
ص. ب: 10277
الظعاين، قطر
هاتف: 44199777 974+
www.dohainstitute.org

المحتويات

مقدمة	1
مقدمات صعود اليمين الشعبوي	1
روزاتيلوم: نظام انتخابي مختلط	2
أسباب صعود اليمين الشعبوي	3
احتمالات تشكيل الحكومة	5

مقدمة

توجه الناخبون الإيطاليون، في 4 آذار/ مارس 2018، إلى مراكز الاقتراع لانتخاب برلمان جديد. وتدل نتائج الانتخابات على صعود اليمين المتطرف والتيارات الشعبوية، الأمر الذي يلقي بظلاله على المشهد السياسي الداخلي المثقل بالأزمات الاقتصادية، وعلى مستقبل إيطاليا في مسيرة التكامل الأوروبي وعلاقتها بمنطقة اليورو. وقد تزامن صعود اليمين في إيطاليا مع تزايد قوة الأحزاب اليمينية وتأثيرها في دول الاتحاد الأوروبي في كل من اليونان، والمجر، وبولندا، وفنلندا، والنرويج، والسويد؛ إذ تجمع بينها خمسة عناصر متداخلة، هي: العداء للنخب الحاكمة ومؤسسات الدولة وعملها، والموقف السلبي من العولمة والتجارة الحرة، وإثارة الخوف من الهجرة وموجات اللاجئين، وما يمثله ذلك من عبء على الاقتصاد، وفرص التوظيف، وتصاعد المشاعر القومية والقلق بشأن ضياع الهوية، والإسلاموفوبيا[1].

مقدمات صعود اليمين الشعبوي

قدم رئيس الحكومة الإيطالية السابق وزعيم الحزب الديمقراطي، ماتيو رينزي Matteo Renzi، في عام 2015، مشروع إصلاحات دستورية للخروج من حالة التعقيد والبيروقراطية التي أصابت مؤسسات الدولة الإيطالية كافةً، وحالت دون وجود حكومة مستقرة تملك أغلبية برلمانية قادرة على نقل إيطاليا من أزماتها المركبة، إذ تهدف الإصلاحات إلى تدعيم مجلس النواب والتقليص من صلاحيات مجلس الشيوخ، إضافةً إلى التقليل من صلاحيات الأقاليم Le regioni، التي يبلغ عددها عشرون إقليمًا، في عملية صنع القرار لصالح الحكومة؛ ما يسهم في التخفيف من حالة التعقيد والتشابك التي ترافق عملية الحكم، إذ تتداخل فيها صلاحيات الحكومة المركزية مع صلاحيات الأقاليم.

[1] عزمي بشارة، "صعود اليمين واستيراد صراع الحضارات إلى الداخل: حينما تنجب الديمقراطية نقائض الليبرالية"، **سياسات عربية**، العدد 23، (تشرين الثاني/ نوفمبر 2016)، ص 9.

عُرضت الإصلاحات الدستورية على استفتاء شعبي – وهو الأول منذ عام 1948 – في بلد توالت عليه ثلاث وستون حكومة، وانقسم الشارع الإيطالي على إثرها إلى فريقين؛ الأول مؤيد للإصلاحات، والثاني معارض لها. وقد جاءت نتيجة الاستفتاء الشعبي ضد الإصلاحات الدستورية، إذ رفضها نحو 60% من الإيطاليين تحت تأثير الحملة الدعائية الرافضة لها من الأحزاب والتيارات اليمينية الشعبوية؛ وعلى رأسها حركة "خمس نجوم" M5S، وحزب "الرابطة" Lega، وحزب "أخوة إيطاليا" Fratelli di Italia، وحزب "إيطاليا إلى الأمام" Forza Italia. واستندت الأحزاب اليمينية إلى حجة مفادها أن مشاريع القوانين تركّز السلطات والصلاحيات بيد رئيس الحكومة، ماتيو رينزي، في محاولة منه للاستيلاء على الحكومة بطريقة فاشية[2]، وإلى أنها لن تؤثر مباشرةً في حل الأزمات الاقتصادية التي تعانيها إيطاليا.

شكل الاستفتاء على الإصلاحات الدستورية مؤشرًا حقيقيًا دالًا على تنامي دور الأحزاب والحركات اليمينية في الحياة السياسية الإيطالية وتأثيرها. وقدم رينزي إثر ذلك استقالته من رئاسة الحكومة في كانون الأول/ ديسمبر 2016[3]. وقد قام رئيس الدولة سيرجو ماتاريلا Sergio Mattarella بتكليف وزير الخارجية باولو جنتيلوني Paolo Gentiloni برئاسة الحكومة إلى حين إجراء انتخابات برلمانية.

روزاتيلوم: نظام انتخابي مختلط

صوَّت الناخب الإيطالي بموجب قانون انتخابي جديد مختلط ومعقد يطلق عليه اسم نظام "روزاتيلوم" Rosatellum[4]، وقد أقره البرلمان بموجب القانون رقم 165/2017، وجرى تعديله ثلاث مرات خلال خمس

---

[2] Alessandro Genovesi, Blog Grillo, “Italicum e’ come Legge Acerbo, basta Fascismo,” Termomertro politico, 24/4/2015, accessed on 15/3/2018, at: https://goo.gl/YqXcRH

[3] Giulia Paravicini & Jacopo Barigazzi, “Matteo Renzi resigns after Italian referendum rout,” Politico, 4/12/2016, accessed on 15/3/2018, at: https://goo.gl/U2yQxh

[4] ترجع تسمية نظام روزاتيلوم إلى عضو البرلمان الإيطالي إتوري روزاتو Ettore Rosato عن الحزب الديمقراطي، وهو الذي ساهم في وضع القانون، للمزيد انظر:

Maria Colombo, “Elezioni 4 marzo, come funziona il Rosatellum. La legge elettorale spiegata bene,” Quotidiano, 2/3/2018, accessed on 15/3/2018, at: https://goo.gl/rXUnzG

سنوات، وكان آخر تعديل له في عام 2017. ويحتاج رئيس الوزراء المقبل، بموجب القانون، إلى كسب أصوات الثقة في مجلس البرلمان الذي يتألف من 630 مقعدًا، ومجلس الشيوخ الذي يتألف من 315 مقعدًا. ويقضي القانون منح 64% من المقاعد وفق نظام التمثيل النسبي، في حين يتم انتخاب 36% من المقاعد وفق النظام الفردي لكل دائرة انتخابية، ويفوز فيه من يحصل على أعلى عدد من الأصوات، على أن ينتخب المواطنون المقيمون خارج الدولة 2% من المقاعد، أي 12 مقعدًا في مجلس النواب، وستة مقاعد في مجلس الشيوخ. كما أنه ينبغي للأحزاب أن تفوز بنسبة 3% من الأصوات الانتخابية، كشرط أساسي لحصولها على حصة في مقاعد التمثيل النسبي (عتبة انتخابية)، وهو إجراء احترازي مصمَّم للحد من تفتيت الأصوات.

ففي حالة تحالف بعض الأحزاب مع أحزاب أكبر داخل ائتلاف انتخابي، تذهب أصوات الأحزاب التي حصلت على نسبة تصويت تراوح ما بين 1% و3% إلى الحزب الأقوى داخل الائتلاف؛ الأمر الذي يَحدُّ من فوز أي حزب، أو حركة، بالأغلبية المؤهِّلة لتشكيل حكومة، وهو ما دفع حركة خمس نجوم المعارضة لانتقاد نظام روزاتيلوم الانتخابي؛ لأنه يحُول دون تحقيقها أغلبية في الانتخاب، وهو ما تطمح إليه في تشكيل حكومة من الحركة من دون الاعتماد على بناء تحالفات مع أحزاب أخرى. ولكن ذلك، في الوقت ذاته، يساعد الأحزاب على الدخول في تحالف موسَّع يُمكِّنها من تشكيل ائتلاف حكومي.

أسباب صعود اليمين الشعبوي

غيرت نتائج الانتخابات البرلمانية 2018 الخريطة السياسية التقليدية في إيطاليا مع صعود الأحزاب والحركات اليمينية. تاريخيًا، انحصر التنافس بين ائتلاف الأحزاب اليسارية الاشتراكية وعلى رأسها الحزب الديمقراطي، وائتلاف أحزاب يمين الوسط وعلى رأسها حزب إيطاليا إلى الأمام، لكن الانتخابات الأخيرة أسفرت عن حصول حركة خمس نجوم على 32.66% من أصوات الناخبين، وحزب الرابطة على 17.37%، وحزب إيطاليا إلى

الأمام على 14.01%. أما حزب أخوة إيطاليا، فقد حصل على 4.35% من الأصوات، في حين حصل الحزب الديمقراطي على 18.72%[5]، ويرجع التصويت للأحزاب اليمينية في إيطاليا إلى مجموعة من الأسباب، أهمها:

1. **التصويت العقابي:** يتمثل بالاحتجاج على سياسات الحكومة الاقتصادية والاجتماعية وتزايد حالة عدم الثقة لدى الناخب الإيطالي بقدرتها على الخروج بإيطاليا من أزماتها، ولعل ذلك ما يفسر تراجع شعبية الحزب الديمقراطي الذي يقود الائتلاف الحكومي السابق. وعند الرجوع إلى الخريطة الجغرافية للانتخابات البرلمانية، نجد أن حركة خمس نجوم قد حصلت على معظم الأصوات في الجنوب الإيطالي الذي يعاني التهميش وارتفاع معدلات البطالة والفقر.

2. **صراع القيادات التقليدية:** غالبًا ما تدخل هذه القيادات في تنافسات ضمن البرلمان لتحقيق مصالح حزبية ضيقة. إضافةً إلى ذلك، مرت أحزاب يسار الوسط في إيطاليا بحالة من الانقسام والتنافس الداخلي على الزعامة، الأمر الذي أثَّر تأثيرًا أساسيًا في قدرتها على تقديم برنامج انتخابي واضح ومقنع للناخب الإيطالي.
3. **استثمار ملف الهجرة غير القانونية:** بلغ عدد المهاجرين غير القانونين في إيطاليا نحو 491 ألف مهاجر عام 2017. أما المهاجرون المقيمون على نحو نظامي، فقد بلغ عددهم 5.3 ملايين عام 2017[6]. واستثمرت الأحزاب اليمينية كثيرًا مسألة ارتفاع نسبة طالبي اللجوء في إيطاليا بعد عام 2011، وقد ركزت على نشر خطاب عدائي ضد المهاجرين بحجة أنهم ينافسون المواطنين في وظائفهم، ويشكلون، مع ارتفاع وتيرة الهجمات الإرهابية التي تعرضت لها أوروبا في السنوات الماضية، تهديدًا أمنيًا.
4. **البحث عن طريق ثالثة للإصلاح الاقتصادي:** سجل الاقتصاد الإيطالي عام 2017 نموًا بلغ 0.3%، ولا يزال تعافي الاقتصاد الإيطالي أقل كثيرًا من اقتصاديات منطقة اليورو الكبرى. ولم يكن هذا النمو

[5] "Italia (esclusa VALLE D'AOSTA)," Eligendo Politiche e Regionali del 4 Marzo 2018, accessed on 15/3/2018, at: https://goo.gl/v66iQw

[6] Fabio Colomb, "Quanti sono, in tutto, gli stranieri, in Italia?" Lenius, 23/3/2017, accessed on 15/3/2018, at: https://goo.gl/Aakpnm

بفضل معطيات هذا الاقتصاد، بل إنّه يرجع إلى ما اتخذه البنك المركزي الأوروبي من إجراءات متعلقة بحَفْز الاقتصاد، وانخفاض سعر اليورو مقابل الدولار الأميركي، وتراجع أسعار النفط العالمية؛ فقد وصل الدين العام إلى 130% من إجمالي الناتج المحلي[7]، ووصلت نسبة البطالة إلى 11.7%، إذ بلغ عدد العاطلين عن العمل في تشرين الأول/ أكتوبر 2017 – ومعظمهم من الشباب – نحو 2.879 مليون[8]. يضاف إلى ذلك أن القطاع المصرفي الإيطالي هو النقطة الأضعف في الاقتصاد الإيطالي، إذ تعاني البنوك الإيطالية قروضًا متعثرة وصلت قيمتها إلى 360 مليار يورو (400 مليار دولار تقريبًا) عام 2016، وقد كان أكثر المصارف تعرضًا للخسارة هو بنك مونتي دي باسكي دي سينا Monte dei Paschi di Siena الذي يُعد من أقدم البنوك في العالم.

5. **تنامي الشعور القومي**: استطاعت الأحزاب اليمينية في إيطاليا التأسيس لخطاب قومي شوفيني نتيجة فشل الحكومة في معالجة الأوضاع الاقتصادية المتردية الناتجة، في جزء كبير منها، من السياسات التقشفية المفروضة من جهة الاتحاد الأوروبي على إيطاليا التي تعاني ارتفاعًا في الدين العام. فقد رفعت حركة خمس نجوم وحزب الرابطة، مثلًا، شعار الخروج من الاتحاد الأوروبي، ولكن سرعان ما تراجعت عن هذا الشعار لاعتبارات سياسية داخلية. ولكن أثَّر خطاب الأحزاب اليمينية تأثيرًا مباشرًا في الرأي العام الإيطالي وتوجيهه، وجرى استغلال شبكات التواصل الاجتماعي (خصوصًا "فيسبوك" و"توتير") التي أسهمت في انتشار الخطاب اليميني الشعبوي في إيطاليا.

احتمالات تشكيل الحكومة

لم يحصل أي حزب أو ائتلاف على الأغلبية التي تؤهله لتشكيل الحكومة منفردًا وفق نظام روزاتيلوم؛ وهو أمرٌ يضطر الأحزاب إلى الدخول في مفاوضات داخلية تستمر أشهرًا لخلق ائتلاف، سواء كان ذلك من أحزاب اليمين أو اليسار، من أجل تشكيل حكومة، وقد نكون أمام سيناريوهات عديدة لأشكال التحالفات بين القوى السياسية، من بينها:

---

[7] "Italy's alarming election Povera Italai," *The Econmist,* 3/3/2018, p. 10.

[8] "In un anno 246mila occupati in più. Meno giovani senza lavoro," Il Sole 24 ORE, 30/11/2017, accessed on 15/3/2018, at: https://goo.gl/XNreEo

- **تحالف يميني كبير**: يضم حزب الرابطة وحزب إيطاليا إلى الأمام وحزب أخوة إيطاليا، وقد عبّر زعيم حزب الرابطة ماتيو سالفيني Matteo Salvini عن أن التحالف اليميني الذي تصدَّر نتائج الانتخابات التشريعية الإيطالية – بحصوله على 37% من الأصوات – لديه الحق والواجب في الحكم، مبديًا استعداده لترؤس الحكومة المقبلة. وقال في مقر حزبه: "لقد حققنا فوزًا استثنائيًا، ولدينا الحق وواجب الحكم في السنوات المقبلة"[9]. وأوضح أنه سيتحدث مع حلفائه في الحملة، وخصوصًا زعيم حزب إيطاليا إلى الأمام، سيلفيو برلسكوني، من أجل تشكيل الحكومة. وفي حال تحقق مثل هذا السيناريو، سيكون مستقبل إيطاليا في منطقة اليورو محل جدل ونقاش داخلي، فضلًا عن حالة من عدم الاستقرار الداخلي على المستوى السياسي.

- **تحالف تقليدي**: يضم الحزب الديمقراطي "يسار الوسط"، وحزب إيطاليا إلى الأمام "يمين الوسط"؛ على غرار ما حصل في الاتفاق بينهما عام 2013 بشأن دعم حكومة إنريكو ليتا Enrico Letta. ومن أجل تحقق هذا السيناريو، سيكون من الضروري كسر تحالف يمين الوسط (حزب إيطاليا إلى الأمام، وحزب الرابطة، وأخوة إيطاليا). وفي حال نجاحه، فإن الائتلاف سيكون الأكثر اعتدالًا، وسيسمح لإيطاليا بالحفاظ على الاستقرار الداخلي، وبعلاقاتها مع منطقة اليورو. لكن تبقى مسألة الثقة بين الطرفين محل شكوك في تحقيق مثل هذا السيناريو. وقد أعلن رينزي، زعيم الحزب الديمقراطي، أنه لا ينوي إبرام أي اتفاق مع ائتلاف اليمين الذي يضم حزب إيطاليا إلى الأمام بزعامة برلسكوني، كما أن الحكومة التي تقودها حركة خمس نجوم بزعامة لويجي دي مايو Luigi Di Maio لن تحصل على ثقة الحزب الديمقراطي، مؤكدًا معارضته لأي اتفاق محتمل مع حركة خمس نجوم، مبررًا ذلك بأن حزبه لن يكون شريكًا مع حكومة يقودها متطرفان، في إشارة إلى حركة خمس نجوم وحزب الرابطة، وإلى أن الطريقة الوحيدة لتشكيل حكومة إنما تكون من خلال الاجتماع معًا، في حين سيتحول الحزب الديمقراطي إلى حزب معارض[10].

---

[9] Massimo Malpica, Salvini pronto per il governo: “Coalizione unita al Quirinale,” Il Giornale, 7/3/2018, accessed on 15/3/2018, at: https://goo.gl/Q4gfPQ

[10] Aldo Cazzullo, Intervista a Matteo Renzi, “Noi mai con Lega e M5S, sono estremisti. Unità nazionale? Giochi chi ha vinto,” Corriere della Sera, 12/3/2018, accessed on 15/3/2018, at: https://goo.gl/xihQkf

- **تحالف الأعداء:** هو تحالف يجمع الحزب الديمقراطي وحركة خمس نجوم. وعلى الرغم من رفض رينزي الدخول في مفاوضات مع حركة خمس نجوم وصعوبة تحقق هذا السيناريو، فإن المشهد السياسي الإيطالي الداخلي طالما قدَّم مفاجآت تجعل منه احتمالًا قائمًا في حال تفاوض كلا الحزبين في برنامج عمل مشترك للحكومة المقبلة، أو في حال حدوث تغير في بنية الحزب الديمقراطي وزعامته؛ ومن ثمّ في طبيعة تحالفاته الداخلية.
- **الدعوة إلى انتخابات جديدة:** في حال عدم تحقق أي من السيناريوهات السابقة، وفي حال فشل الأحزاب في تشكيل حكومة، يمكن لرئيس الجمهورية أن يقرر تشكيل حكومة تسير أعمال من التكنوقراط ترأسها شخصية غير منضوية تحت أي حزب سياسي لتغير القانون الانتخابي؛ على نحو يضمن وصول أغلبية حزبية إلى البرلمان من أجل تشكيل حكومة، والدعوة بعدها إلى انتخابات برلمانية جديدة.

في الختام، إذا كان اليمين المتطرف حاضرًا دائمًا في المشهد السياسي الأوروبي عمومًا، والإيطالي خصوصًا، فإن التحول الجديد يكمن في انتصاراته الانتخابية التي تخوله المشاركة في ائتلاف حكومي يضم مجموعة من الأحزاب اليمينية؛ وذلك في تغير واضح بخصوص التركيبة السياسية الحزبية في الاتحاد الأوروبي. فقد أعطت الانتخابات مؤشرًا جديدًا دالًا على مدى التراجع الذي أصاب المنظومة الحزبية التي سادت إيطاليا في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، والتي تشكل بدورها جزءًا من الأزمة السياسية التي تعيشها الأحزاب التقليدية الأوروبية والتحديات التي تواجهها، مع صعود موجة اليمين القومي الشعبوي الذي يهدد إنجازات القارة الأوروبية في مجال الاندماج والعولمة والانفتاح الكلّي خلال سبعة عقود، خاصة أن السياسة الخارجية، إلى حد ما، كانت غائبة في الحملات الانتخابية الإيطالية، باستثناء قائمتَي "مزيد من أوروبا" Piu’ Europa و"إيما بونينو" Emma Bonino[11]، إذ عبَّرت أغلب حملات اليمين عن عدم رضاها عن الإستراتيجيات السياسية الحكومية على المستوى الداخلي والدولي، وارتكزت في نظرتها إلى الاتحاد الأوروبي؛ بوصفه كيان التقشف، والمسبب الرئيس في استقبال المهاجرين غير القانونين، والعامل الأساسي في بطء الانتعاش الاقتصادي في إيطاليا.

[11] Nathalie Tocci, “Campagna elettorale: messaggio al prossimo governo,” Affarinternazionali, 2/3/2018, accessed on 15/3/2018, at: https://goo.gl/6ivDq8